تحولات المصطلح اللساني الحديث في ضوء القراءات الجديدة لمخطوطات سوسير - مقاربة تأصيلية لجهود مصطفى غلفان

linguistic term according to the new readings of Saussure's manuscripts An original approach to the efforts of Mustafa Galfan

طالب دكتوراه / حمزة بريك

أ.م / مفيدة بن وناس

قسم اللغة والأدب العربي – جامعة الشاذلي بن جديد-الطارف (الجزائر)

مخبر التراث والدراسات اللسانية-جامعة الطارف

brik-hamza@univ-eltarf.dz

تاريخ الإيداع: 2020/10/02 تاريخ القبول: 2020/11/11 تاريخ القبول: 2021/03/15

ملخص:

مسعانا من خلال هذه الدراسة هو الوقوف على تجليات الممارسة الفكرية في نصوص ومخطوطات سوسير الجديدة في ضوء اللسانيات الحديثة، والتي نشرت منذ النصف الثاني من القرن العشرين ممثلة في جهود مصطفى غلفان، وذلك من أجل قراءة تأصيلية انطلاقا من مجموعة من التأويلات العلمية والمنطقية بمختلف أبعادها النظرية والمنهجية المتباينة في إطار تحولات المفاهيم الاصطلاحية اللسانية (اللغة-اللسان-الكلام) في الفكر السوسوري الحديث، وقد توصلنا في نهاية مقالنا إلى جملة من النتائج أهمها: أسهم سوسير من خلال نصوصه الجديدة في الكشف عن الملامح الحقيقية للسانيات، وأصبحت المصطلحات اللسانية الجوهرية (اللغة-اللّسان-الكلام) الدعامة الأساسية التي ترتكز عليها صرح اللسانيات الحديثة.

الكلمات المفتاحية: سوسير الجديد؛ مصطفى غلفان؛ المخطوطات الجديدة؛ المصطلحات اللسانية؛ اللسانيات الحديثة.

Abstract

In this study we aim to highlight the impacts of intellectual applications in Saussure's texts and manuscripts according to the modern linguistics published since the second half of the twentieth century represented by the efforts of Mustafa Galfan, in order to provide an inherent analysis from the set of scientific and logical interpretations according to the shift of the linguistics terms concepts(language, tongue and speech) in the new Saussurean, At the end of this research, we reached important results, most notably: The new Saussure texts contributed to revealing the real features of Saussure in linguistics, and the elements of language, tongue and speech in his manuscripts became the mainstay in linguistics structure.

Keywords: The new Saussurean Mustafa Ghalafan; Modern manuscripts; Linguistic terms; Modern Linguistic.

توطئة:

البحث عن سوسير (Saussure) ما يزال إلى يومنا هذا موضوع نقاش وجدل بين مؤيدين ومعارضين للممارسة اللغوية والمنهجية المتبعة في فكره، وهنا نقصد المنهجية البنيوية، فما يزال فكر سوسير (Saussure) وقيمة نظريته ضمن اهتمامات لسانيات القرن العشرين منذ أن ظهر مؤلّفه الشهير "دروس في اللسانيات العامة" ونصوصه الأُخرى التي تمثلت في الأبحاث والمخطوطات الخاصة التي تشق طريقها إلى المطابع الدولية التي تعقد هنا وهناك حيث تعد محور بحث وجدل وتنقيب العديد من الدراسات الأكاديمية،[1] فالمخطوطات السوسورية مهمة في حلقة البحث اللساني باعتبار أن تلك المخطوطات تحمل جانبا مهما في التأمل العميق لتحليل مجمل الظواهر اللغوية الخاصة باللغات واللسان البشري.

ويمثل المصطلح اللساني السوسوري الحديث في ضوء المخطوطات الجديدة لسوسير الحلقة المهمة في اللسانيات الحديثة، حيث تَكشف تحولات المصطلحات اللسانية (اللغة واللّسان والكلام) عن تحليل وتفسير وتقويم المواضيع الجوهرية لوضعية اللسانيات الحديثة، ومن هذا المنطلق تم طرح الإشكالية الآتية: ما مدى فاعلية النصوص والمخطوطات الجديدة في توجيه الفكر السوسوري للمنظومة اللغوية؟ وما هي الأسس الدقيقة التي استند إليها سوسير (Saussure) في تلك النصوص الجديدة والتي لا يمكن أن تكون المقاربة اللسانية إلا بها؟ وكيف أصبحت دراسة التحولات المفاهيمية للمصطلحات اللسانية (اللغة واللّسان والكلام) عند سوسير(Saussure) ركيزة أساسية في بناء صرح اللسانيات الحديثة في الفكر الجديد لسوسير من خلال المخطوطات الجديدة؟

وللإجابة عن هذه الإشكالات سنعمل على ربط المقاربة التأصيلية للفكر السوسوري بتصورات مصطفى غلفان النظرية والمنهجية من خلال الاستعانة بمؤلفاته المتعددة وخاصة المؤلفات الأخيرة: اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات- لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد- اللغة واللّسان والعلامة عند سوسير (Saussure) في ضوء المصادر الأصول، ونعتزم في هذه الدراسة تثبيت المفاهيم والتقاليد اللغوية الواضحة من الناحية التاريخية والأصولية، وخاصة التحولات التي عرفتها المصطلحات اللسانية الأساسية: اللغة اللّسان-الكلام في المخطوطات الجديدة، وإيجاد الوجه الحقيقي لسوسير (Saussure) وطريقة تصوره للظاهرة اللغوية ومعرفة مواطن التغيير للفكر اللغوي السوسوري.

أولا) تحولات الفكر السوسوري الحديث في تصور مصطفى غلفان:

بعد أن انقطعت السبل بالباحثين المحدثين عن الفكر السوسوري الحديث نتيجة تعلقهم بكتاب "المحاضرات في اللسانيات العامة" الذي وضعه "شارل بالي" (Charles Bali) و"ألبير سيشهاي"(Albert Sichuhai)، وأخرجاه للناس ثلاث سنوات بعد موته ونسباه إليه أصبحت للمخطوطات الجديدة الخصوصية البارزة في إعادة الصلة من جديد لفكر سوسير (Saussure) الأصيل ، فصحيح أن كتاب المحاضرات في اللسانيات العامة فيه شيء من المسائل التي يمكن ردّها بجهد من التمحيص والتدقيق إلى سوسير (Saussure)، لكنه لا يمكن أن يرقى إلى ما تنطوي عليه هذه المخطوطات، ولا سيما مخطوط "De l'essence double de langage" من جدة وحداثة.[2]

التأثير الذي تركه سوسير (Saussure) واضح من خلال نصوصه ومخطوطاته الجديدة، وذلك من خلال اشتغال العديد من المفكرين والدارسين والمختصين في اللسانيات بمادته، وذلك من أجل الوصول لدراسة علمية وموضوعية دقيقة.

يرى مصطفى غلفان أنه «بعد نشر مخطوطات ونصوص أخرى جديدة تتعلق أيضا بدروس سوسير (Saussure) في اللسانيات العامة وغيرها من الموضوعات اللغوية يُمكن التساؤل عن طبيعة الاختلافات الموجودة بين النشرة الأولى لدروس سوسير (Saussure) 1916 والنشرات الأخرى للدروس والتحقيقات نفسها التي واكبتها منذ سنة 1957 تاريخ صدور المصادر والمخطوطات لدروس سوسير»[3]، ويطرح تساؤلات عديدة أخرى نوجز أهمها في بعض العناصر الأساسية:[4]

- ما القيمة التاريخية للمخطوطات والتحقيقات التي نشرت سنة 1957 مقارنة بنشرة 1916؟

- ما وجه الجدة في النصوص الجديدة والنشرات المتتالية في الفكر السوسوري؟
- ما هي أهم التغيرات التي طرأت عن تصورات سوسير (Saussure) وآرائه؟
- ما تأثير العديد من المنشورات والنصوص الجديدة في المنطلقات التصورية والمنهجية التي تأسست عليها صرح اللسانيات الحديثة؟

تمثل المخطوطات السوسورية في الفكر اللساني الحديث مركز الاستقطاب بلا منازع، وهذا ما جعل الباحث اللغوي مصطفى غلفان يطرح هذه التساؤلات المتعددة للإحاطة الشاملة والعميقة بمختلف الإشكالات التي تؤرق العديد من الباحثين المتخصصين في المجال اللساني.

تنقسم الأبحاث الأكاديمية لجميع المتخصصين إلى قطبين مهمين في التعامل مع الحركة السوسورية الجديدة وفق تصورين منهجيين متقابلين:[5]

- **فكرة الاعتباطية:** ليست الاعتباطية مجرد مفهوم تم بناؤه ولكنها تحظى بالوضعية الإبستمولوجية.

يجب أن نوضح فكرة مهمة حين نتحدث عن الاعتباطية أنه «لا يوجد أي رابط مهما كانت نوعيته بين أوجه الحدث السيميائي، أي من جهة الدال المرئي أو المسموع أو المكتوب والمدلول هو ما يُعَبَر عنه من تصورات ودلالات »[6]، فالعلاقة بين الدال والمدلول غير معللة في جميع الحالات، سواء بطريقة منطقية أو بطريقة عقلية.

- **الرؤية التفسيرية**[7]: تذهب هذه الفئة إلى القول بأن تصورات سوسير (Saussure) تمثل نسقا مفتوحا تُقِيم عناصره الداخلية علاقة تخضع للجدل فيما بينها، وهو يضفي على هذا النسق كبناء نظري مرونة كبيرة تجعله خاضعا للتفسير وفق وجهات نظر مختلفة.

التصور السوسوري الحديث لمختلف المفاهيم الألسنية داخل النظام اللغوي يخضع لتصورات جدلية مرتبطة بالعلاقات الموجودة داخل كافة البنى اللغوية وجميع المستويات اللغوية (صوتية، صرفية، نحوية، دلالية، معجمية...الخ)، وبدورها تخضع هذه البنى والمستويات اللغوية إلى مجموعة من التحليلات والتفسيرات، حيث تختلف هذه التفسيرات وفق اختلاف الرؤى والتصورات والأفكار للباحثين اللغويين.

يقول ميشال أرفيه (Michel Arfee): «ما يزال سوسير (Saussure) بعد مرور ما يقارب مئة سنة على وفاته يستثير القرائح والمداد، والباحثون يسعون وراء المسكوت عنه أو المُغَيّب عن أفكاره وتعاليمه التي مهدت الطريق لنضوج هذا العلم واستكماله لنظرياته وتطبيقاته وأدواته الإجرائية»[8]، فإعادة طرح قضايا سوسير (Saussure) في الدرس اللساني الحديث من

خلال مخطوطاته الجديدة من شأنه إزالة الابهام عن التصورات المهملة في الفكر السوسوري الحديث وبلورة منظومة لسانية شاملة في دراسة اللسان البشري.

يشير مصطفى غلفان في حديثه عن أهم المنجزات التي تؤصل لفكر سوسير (Saussure) الحديث بقوله: «تعد دراسة ميشال أريفيه (Michel Arfee) القيمة: "البحث عن فرديناند ديسوسير" نموذجا ملموسا للنتائج التي يمكن أن نقدّمها مقارنة بمختلف فقرات ونشرات سوسير (Saussure)القديمة، وخاصة في ما يتعلق بالمنطلقات الفلسفية والأسس المنهجية التي قامت عليها اللسانيات الحديثة ومفاهيمها المحورية التي تنسب بهذه الصيغة أو تلك إلى سوسير (Saussure)، لقد ساهمت محاولة إعادة قراءة نصوص سوسير (Saussure) في ضوء هذه النشرات الجديدة إلى حدّ ما في إزالة اللبس والغموض اللذين لازما ما يزيد على نصف قرن أفكار سوسير (Saussure)»[9]، فدراسة ميشال أرفيه (Michel Arfee) جاءت لتقديم مظاهر المقاربة اللغوية الحديثة للفكر السوسوري الجديد والإشارة إلى أهميتها في تطور اللسانيات في القرن العشرين.

إن تحولات التفكير السوسوري الحديث وموقعه في القرن العشرين يمثل جانبا مهما في تاريخ الفكر اللغوي الحديث، يتمثل في طريقته للوصول إلى حقائق الأشياء، وفي هذا التوجه تتمثل الإستراتيجية العامة للفكر الحديث إجمالا، حيث يتجه التفكير إلى دراسة العلاقات بين الأشياء وليس إلى دراسة الأشياء ذاتها، وينبه سوسير (Saussure) في دراسته للغة على مشكلات بالغة الأهمية فيما يتعلق بطرق التفكير الحديثة لدى الكائن البشري وعلى وجه الخصوص العلاقة الحميمية بين الكائن والعقل، فالكائن البشري هو الذي يشكل بفكره الأشياء ويفرق بين بعضها البعض، ويُنظمها في أنساق لكي يصبح لها معنى، فطراز التفكير مكّن سوسير (Saussure) من إنجاز إضافاته القيمة في ميادين العلوم الإنسانية.[10]

البحث عن الحقائق والمكنونات اللغوية المخزنة في العقل البشري وكيفية التعامل معها جانب مهم في التفكير السوسوري الحديث، باعتبار أن العلاقة التي تربط اللغة بالعقل علاقة متكاملة إلى أبعد الحدود، ولا يمكن فصلهما لعدم التأثير على أنماط التفكير والوصول للحقائق اللغوية.

يقول سوسير (Saussure): «يبدو في الواقع مستحيلا في اللسانيات تفضيل إحدى الحقائق على غيرها حتى تغدو المنطلق الأول، لكن ثمة حقائق أساسية متصلة فيما بينها اتصالا وثيقا بحيث يحسن البدء بأيٍ مِنْهُن فنصل منطقيا إلى الأخريات، ونصل إلى النتائج نفسها، كما لو بدِئنا بحقيقة أخرى»[11]، وهذا راجع لطبيعة تلك التراكمات للبنى المعرفية واللغوية التي تربط

بعضها البعض، فتعمل تلك التراكمات على تطوير مفاهيمها بطرق متعددة للوصول لنتائج إيجابية.

وهذا ما أكده مصطفى غلفان في قوله: «الفكرة الجوهرية عند سوسير (Saussure) ومن جاء بعده من اللسانيين البنيويين حول علاقة الانتظام بين الوحدات اللغوية في محور التوزيع، حيث إن المفردة الواحدة التي لا تملك في ذاتها أية قيمة مطلقة، وإنما قيمتها في علاقتها بما يجاورها»[12]، فمجمل العلاقات التركيبية التي تتصل ببعضها البعض على المستوى اللغوي تكمل بعضها البعض ولا توجد أي قيمة لغوية أو دلالية لها إذا انحرفت عن الوحدات اللغوية المتصلة بها.

لقد مرت المخطوطات الجديدة في الفكر السوسوري في اللسانيات الحديثة بثلاث حقول معرفية ممنهجة تتمثل في:[13]

- **حقل الإبستميولوجيات:** فهو يندرج ضمن نقد العلم، ويشتمل على ما اجتمع من أفكار سوسير(Saussure) النقدية للممارسات اللسانياتية التي عاصرها، ونعني بها اللسانيات التاريخية.
- **حقل فلسفة اللغة:** عبارة عن تحليلات فلسفية شبيهة بتحليلات أرسطو حول اللغة ومسألة الأنساق الدلالية الأخرى أحيانا.
- **حقل الإبستميولوجيات المبرمجة:** تمثل مجمل آراء سوسير (Saussure) فيما يجب أن يكون عليه علم اللغة مستقبلا، والتي تجعل اللسانيات العامة تستفيد من مجمل المواضيع الصرفية والتركيبية والبلاغية والأسلوبية.

تشكل اللسانيات التاريخية ونقد الكتابة اللسانية وتحليل مجمل الظواهر الفلسفية للغة والكشف عن حقائقها، والإفادة من مختلف العلوم المتصلة بحقل اللسانيات أحد أهم مباحث المخطوطات والنصوص الجديدة في التفكير السوسوري الحديث.

لا شك أن الحديث عن بعض المسائل الجديدة سيمكن من تصور جديد للفكر السوسوري للخطاب اللغوي الذي تطرق لمسائل مهمة تتمثل في:[14]

- لم يكن سوسير (Saussure) يميز في محاضراته أو في كتاباته بين لسانيات للّسان ولسانيات للكلام.
- اتخذ سوسير(Saussure) من الوقائع اللسانية موضوعا لمخطوطاته ونصوصه الجديدة.

- **تعد لسانيات الخطاب المادة الأساسية التي تشتغل عليها النصوص والمخطوطات اللسانية الحديثة.**
- **المعنى في لسانيات سوسير (Saussure) يحدده استعمال الفرد للّسان.**

تعد المخطوطات والنصوص الجديدة لسوسير (Saussure) مهمة جدا خاصة من ناحية قوة الطرح للعديد من القضايا اللغوية والاشكالات العديدة بطريقة معمقة جدا، وبمنهجية علمية مفصلة، حيث تمثل لسانيات الخطاب والوقائع اللسانية مادة وموضوعا لتلك النصوص الجديدة، حيث تخضع لقراءات وتأويلات منطقية وحداثية، وهذا لأجل تأطير النشاط الألسني في مجال العلوم الألسنية.

ثانيا) تحولات المصطلحات اللسانية (اللغة-اللسان-الكلام) من منظور المخطوطات السوسورية الجديدة وفق رؤية مصطفى غلفان:

إن أهمية دراسة الكلام ودوره الجوهري في النشاط اللغوي واضح ولا غبار عليه عند جميع الأفراد المتكلمين، فدراسة الكلام هي أول دراسة تساعدنا على الاستنباط والفهم العميق لآليات تنفيذ واشتغال اللّسان وتحقُّقه بشكل عادي وطبيعي، إلا أن دور الكلام وقيمته يَنْبَغِي أن لا يظلّا محصورين في التبعية للّسان والخضوع المطلق له، بالرغم من الروابط المتينة نظريا ومنهجيا بين هذين الجانبين الأساسيين في النشاط اللغوي البشري فإهمال الكلام وإقصائه من حيز الدراسة اللّسانية هو في الواقع إهمال لجوانب جوهرية في عملية التواصل عند الأفراد المتكلمين.[15]

تمثل اللغة واللّسان والكلام الحلقة البارزة في دراسة مختلف الظواهر اللغوية للنصوص والمخطوطات الجديدة حيث تعمل هذه المفاهيم على تأطير المعرفة اللسانية تأطيرا سليما.

الحديث عن اللسانيات يقودنا للمرور على ثلاثة عناصر أساسية مُتَفَق عليها في العُرف اللساني:[16]

- **اللغة Le langue:** نظام من العلامات والصيغ والقواعد، ينتقل من جيل لجيل وليس له تحقق فعلي، لأن الناس لا يتكلمون القواعد، وإنما يتكلمون وفقا لها، وأقرب شيء إليها أنها تشبه السنفونية على حين يشبه الكلام العزف على الآلات.
- **اللّسان Le Language:** فهو ظاهرة عامة تتمثل في العنصرين (اللغة والكلام) مجتمعين معا: الفردي (الكلام) والاجتماعي (اللغة).

- **الكلام Le Parole:** كل ما يلفظه أفراد المجتمع المعين، أي ما يختارونه من مفردات أو تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق.

اللغة واللسان والكلام مفاهيم أولية في اللسانيات الحديثة لكنها تمثل القلب النابض في تثبيت المفاهيم النظرية والمنهجية للدرس اللساني.

كان لحافظ إسماعيل العلوي حوار مع مصطفى غلفان حينما سأله: لماذا يحظى سوسير (Saussure) 1857-1913بهذه الأهمية التاريخية؟ فأجابه: «لاشكّ أن ذلك مرتبط بإسهامه في بلورة المنهجية اللسانية وتحديد معالم جديدة للبحث اللساني، فتعريفات سوسير (Saussure) الجديدة للمادة والموضوع واللّسان والكلام والفرق بين التزامني والآني والتعاقبي (الدياكروني) هي كلها مفاهيم أولية سهلة وبسيطة لكنها ذات قيمة منهجية كبرى أقام عليها سوسير (Saussure) صرح الفكر اللساني الجديد باعتراف الجميع»[17]، وهذا تأكيد على قيمة الوعي بالمفاهيم والمبادئ الأساسية للسانيات، التي غالبا ما يتم تجاهلها في دراسة العديد من الظواهر اللغوية.

يشير مصطفى غلفان في تحديده لمفهوم وموضوع اللسانيات في المخطوطات الجديدة أن سوسير (Saussure) يؤصل للظاهرة اللغوية من خلال تمييزه بين: اللغة-اللسان-الكلام، فما هي خصائص كل مستوى؟ وماهي علاقته بالأخرى التي تشكل معا ما يعرف تحت اسم اللغة في التعبير العادي؟ حيث تعد اللغة في التحول المصطلحي السوسوري الجديد ظاهرة شمولية توجد عند جميع الأفراد في كل زمان ومكان بصرف النظر عن اختلافاتهم العرقية والحضارية، واللغة في كُلّيتها ظاهرة معقدة، فهي ذات تجليات متعددة الأشكال وغير متجانسة في مختلف مظاهرها.[18]

إن تحديد خصائص المصطلحات اللسانية وتحولاتها في المخطوطات الجديدة، وعلاقتها بالجوانب التعبيرية مهما اختلفت الظواهر الفطرية والأديولوجية والثقافية في ظل الظاهرة اللغوية التي تتسم غالبا بالغموض والإبهام جانب لابد منه وجب التدقيق والتعمق فيه لكشف مكنونات وخبايا الانسان من الناحية الحسية والعقلية.

تحمل اللغة في جوهرها العميق بصفة دائمة ازدواجية تقابلية في المخطوطات الجديدة:[19]

- ملكة طبيعية ومؤسسة اجتماعية.
- إنتاج وتلقٍ.
- فعل فردي وفعل اجتماعي.
- نسق وتطور.

تعد ملكة اللغة طبيعة فطرية في الإنسان، حيث تتشكل في إطار اجتماعي انطلاقا من العملية التواصلية، وتكون هناك العديد من عمليات التلقي والإنتاج للألفاظ في شكل بنيات صوتية وبنيات تصورية داخل العقل البشري، سواء بفعل فردي أو اجتماعي حيث تتطور وتختلف ضمن مجموعة من الأنساق اللغوية المتداخلة فيما بينها بطريقة قصدية أو غير قصدية.

تمثل ازدواجية مصطلح اللغة في التفكير السوسوري الحديث ركيزة مهمة في الدرس اللساني حيث «تقدم على الدوام وجهين متقابلين، ليس لأحدهما قيمة إلا بالآخر، فهي تتضمن في الوقت نفسه جانبا فرديا وجانبا جماعيا، ومظهرا فيزيائيا يقابله مظهر نفسي، وجانبا فيزيولوجيا يقابله جانب إدراكي ومظهرا صوتيا يقابله جانب معنوي وهكذا»[20]، فالازدواجية اللغوية في الحقل اللغوي أصبحت عنصرا فعالا في توجيه المخطوطات الجديدة لسوسير (Saussure).

الجديد في الفكر السوسوري أن مصطلح «اللّسان ليس فقط نسقا من العلامات، بل إنه نسق من القيم، ولعلّ أولى الخطوات التي قادت في اعتبارنا إلى الانتقال من مفهوم النسق للعلامات إلى مفهوم النسق إلى القيم هو الترادف الحاصل في تصوره بين مصطلح القيمة والدلالة»[21]، فاللسان يتموقع داخل النظام اللغوي، ويستمد قوته ووجوده من قيمة المعاني الموجودة في ذهن المتكلم.

يتشكّل مصطلح اللسان بوصفه موضوعا علميا للسانيات من ثلاثة مباحث أساسية للفكر السوسوري الحديث:[22]

- **المبحث التقنيني:** يمثل مجموعة القواعد الضمنية العامة التي تتحكم بصفة نهائية في اللسان، وبدونها لا يمكن الحديث عن اللسان بالمعنى الدقيق.
- **المبحث الاجتماعي:** يمثل المواضعات (Conventions) الاجتماعية والثقافية التي تحدد طرائق استعمال اللسان وأوجهه المتعددة في إطار علاقات ثنائية واجتماعية متنوّعة.
- **المبحث الفردي:** يتعلق بالطريقة الفردية التي توظف من خلالها الطاقة اللغوية التي يملكها كل فرد متكلم، وما يرتبط بعملية التواصل من آليات ذهنية.

يهتم اللسان بمجمل القواعد والأنظمة اللغوية التي تساعد في تفسير الظاهرة اللغوية، ويرتبط استعمال اللسان بحدوث علاقات اجتماعية وثقافية، حيث تُستخدم طاقة لغوية كامنة في ذهن المتكلم من أجل عملية تواصلية وتعبيرية ناجحة ومثمرة.

أما بالنسبة لمصطلح الكلام في المخطوطات اللسانية الحديثة فتمثل استعماله في ثلاثة صيغ:[23]

- التصويت، أي أنه كل ما أصبح علم الأصوات (Phonitique) أكثر دقة في تحديد التغيرات التي تطرأ على الصوت وجب الانتباه لشروط تجاور الفونيمات في الكلام، أي الشروط الطبيعية للمقاطع الصوتية.
- يستخدم مصطلح الكلام أيضا بمعنى الفعل الواعي والمدرك لتسلسل الوحدات التركيبية في النظام اللغوي.
- يعد مصطلح الكلام وممارسة الكلام في السوسورية الحديثة عنصران مهمان حيث يعتبران قوة فاعلة ومصدر حقيقي للكشف عن الظواهر اللغوية.

تقودنا هذه التوجهات المختلفة لصيغ الكلام في المخطوطات الجديدة في الفكر السوسوري إلى الاهتمام بتمثل الأصوات على مستوى التشكلات البنيوية والفيزيائية والوظيفية، فالأصوات تمثل البنية التي يتكون منها الكلام والتغيرات التي تطرأ على تلك الأصوات تكون بفعل عوامل فيزيائية، أما ممارسة الكلام فتتمثل على مستوى الفرد المتكلم.

يشير مصطفى غلفان للعلاقة الموجودة بين مصطلحي اللّسان والكلام حيث يقول: «تكتسي العلاقة بين اللّسان والكلام في مجال اللسانيات أهمية بالغة لارتباطها من الناحية المنهجية بمكانة التركيب (Syntaax) الذي يدرس العلاقة بين الكلمات، وتحديدا دراسة الجملة عند سوسير (Saussure)»[24]، فللإجابة عن ماهية العلاقة الموجودة بين اللّسان والكلام في الفكر السوسوري في اللسانيات الحديثة لابد من استحضار دراسة الجانب التركيبي للكلمات والجمل وكيفية تشكلها في الحيز اللساني.

يبين سوسير (Saussure) أن دراسة مصطلح اللّسان تتكون من جانبين: الجانب الأساسي وهو الذي هدفه اللغة وهو اجتماعي محض مستقل عن الفرد، وهذا الجانب سايكولوجي في جميع صفاته، والجانب الفرعي (الثانوي) وهدفه الجزء الفردي من اللسان- أي الكلام بما في ذلك العملية الصوتية، والجانب الفرعي: سايكو فيزيائي، ويعتمد أحدهما على الآخر، فهما مرتبطان ببعضهما البعض، فاللغة ضرورية إذا أريد بالكلام أن يحقق الغاية المتوخاة منه والكلام ضرورة لتثبيت أركان اللغة، إذ يمكن للمتكلم أن يربط تغير فكرة ما بصورة للكلمة [25]، وهذا ما ذهب إليه الباحث محمود فهمي حجازي حيث يورد في هذا السياق قوله: «دراسة قضية التغير اللغوي يبدأ عند فرد ما أي على مستوى الكلام، فإذا وجد هذا التجديد قبولا من

المجتمع أصبح بمُضِي الوقت عُرفا لغويا سائدا»[26]، فالكلام له أثر مهم في تغيير معطيات وتوجهات البحث الألسني ولا يمكن إهماله وإزاحته من الحيز اللغوي.

وفي هذا الصدد يقول الباحث حنون مبارك: «إن سوسير (Saussure) لم ينفي الكلام ولم يبعده من الدراسة اللسانية كما قد توهم البعض وإلا لما كان مقبولا حديثه عن لسانيات الكلام»[27]، فلا يمكن أن نستغني أو نزيح عنصر الكلام لأنه شرط أساسي في تأطير وتوجيه مختلف البنى والصيغ التركيبية والنحوية داخل المنظومة اللغوية.

يوضّح مصطفى غلفان كيفية انتماء المصطلحات لبعضها البعض التي يتم صياغتها من الناحية البنيوية والتركيبية بقوله: «هناك أنماطا (Types)خاصة بالكلمات والجمل يتم استحضارها كلما تعلّق الأمر بوضع صيغ مستحدثة أو صيغ بنيات وتركيبات جديدة، وبهذا تُلقي المصادر الأُصول مزيدا من الضوء على مسألة انتماء الجملة إلى اللّسان أو الكلام وتحْضر المسألة ذاتها في العديد من نصوص سوسير (Saussure)»[28]، فالعلاقة بين مصطلحي اللّسان والكلام هي علاقة ارتباطية لزومية، فهما متلازمان وكل منهما يستحضر الآخر ويستدعيه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على مستوى المنظومة اللغوية في السوسورية الحديثة.

ينتهي مصطفى غلفان بالحديث عن التحولات المصطلحية التي عرفتها اللسانيات الحديثة في كنف المخطوطات الجديدة بقوله: «لاشك أن المواجهة بين سوسير (Saussure) الحقيقي وسوسير (Saussure) دروس ستستمر وقتا غير طويل دون أن يكون أحد قادر على التنبؤ بنتيجة هذا الصراع، وأيا كانت النتيجة النهائية، فإن سوسير (Saussure) الذي صنعه الناشران، وسوسير (Saussure) الحقيقي الذي يسعى لحشد كم هائل من اللسانين إلى رسم معالمه من خلال مخطوطاته ومسوداته في أروقة مكاتب جونيف حولا نتيجة المعركة لصالح سوسير (Saussure) الرجل الذي نال مكانته اللائقة به واسترجع مكانته من الألمان أضعاف ما سلبوه جهلا أو قصدا»[29].

تعد جميع التساؤلات التي تبناها العديد من الباحثين اللغويين بشأن فهم طبيعة الظاهرة اللغوية عند سوسير (Saussure) الحقيقي، ومعرفة التأصيل المفاهيمي لمجمل المصطلحات اللسانية الأساسية نقطة إيجابية لبناء قاعدة لسانية متينة ترتكز عليها جميع المنطلقات اللسانية، وعاملا مهما في تسهيل وصولها للمتلقي العربي في شقيها النظري والتطبيقي داخل المنظومة الألسنية.

في الختام نذكر أهم النتائج المتعلقة بالمقال:

- لابد من تحديد خصائص المصطلحات اللسانية وتحولاتها في المخطوطات الجديدة (اللغة-اللسان-الكلام)، وعلاقتها بالجوانب التعبيرية مهما اختلفت الظواهر اللغوية والفطرية والأديولوجية والثقافية.
- التخبط في المنجزات اللسانية الحديثة بشأن سوسير (Saussure) وعدم الترجمة والنقل الصحيح للمفاهيم المركزية خاصة (اللغة-الكلام-اللسان) للمخطوطات السوسورية الجديدة نتج عنه عدم الوعي والإدراك التام للممارسة اللغوية التأصيلية لفكر سوسير (Saussure).
- لا يمكن الفصل إطلاقا بين المفاهيم الجوهرية في المخطوطات السوسورية الحديثة خاصة مصطلحات: اللغة-اللسان-الكلام لأنها تمثل الحصن المتين الذي أنجزت عليه مجمل الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة.

الاقتراحات التي يمكن ذكرها لإثراء هذه الدراسة ما يلي:

- تسليط الدراسات على سوسير (Saussure) الجديد في البحوث الأكاديمية والملتقيات والندوات العلمية سواء الوطنية أو الدولية لتأصيل وإبراز وبيان جهوده الألسنية.
- استثمار جهود مصطفى غلفان في تقويم التحولات المصطلحية اللسانية الجديدة للمخطوطات والنصوص السوسورية على مستوى الثقافة العربية.
- إنشاء وحداث بحث في إطار مشاريع PNR تتكفل بالبحث والتعمق أكثر في نصوص ومخطوطات سوسير (Saussure) الجديدة.

ثالثا) قائمة التهميشات والإحالات:

[1] ينظر مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، جانفي 2017، ص 43.

[2] زواوي مختار، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل لفكر فرديناند دوسوسير، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2019، ص 01.

[3] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، جوان 2013، ص 139.

[4] ينظر المصدر نفسه، ص 139.

[5] ينظر مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 44-45.

[6] مصطفى غلفان، اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، 2010، ص 76.

[7] ينظر مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 44-45.

[8] ميشال أرّفيه، البحث عن فردیناند ديسوسير، تر: محمد خير الدين البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، 2009، ص 14.

[9] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 144.

[10] كلر جوناثان، فردیناند ديسوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة-مصر، ط1، 2000، ص 10.

[11] زواوي مختار، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل لفكر فردیناند دوسوسير، ص 10.

[12] مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية، للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2013، ص 232.

[13] ينظر زواوي مختار، دوسوسير من جديد، مدخل للسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية-ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2017، ص 147-148.

[14] ينظر المرجع نفسه، ص 148.

[15] ينظر مصطفى غلفان، اللغة واللّسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، جانفي 2017، ص 159.

[16] عبد العزيز محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، (د ط)، (د ت)، ص 20-21.

[17] حافظ إسماعيل العلوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة نصف قرن من اللسانيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 1430هـ-2009، ص 264-265.

*إن ما قام به سوسير، من قراءة لأفكار معاصريه وسابقيه من اللغويين سواء في تصوره لعلاقة اللسانيات بالعلوم الاجتماعية، أو بالسميولوجيا، أو بالعلوم الأخرى التي تتقاطع مع اللسانيات، أو في تحديده لطبيعة اللسان أو في غير ذلك من التأملات النظرية والمنهجية التي تقدمها الدروس، إنّما يكشف بوضوح حرص الرجل على تأسيس إطار نظري متكامل يخص اللسانيات وحدها، ويضمن استقلالها، ويضبط علاقتها بالعلوم المجاورة، من كتاب: مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 154.

[18] ينظر غلفان مصطفى، اللغة واللّسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص112.

[19] ينظر المصدر نفسه، ص 113.

[20] المصدر نفسه، ص 113.

[21] زواوي مختار، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل لفكر فردیناند دوسوسير ص 104.

[22] مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، ص 79-80.

[23] ينظر ميشال أرّفيه، البحث عن فرديناند ديسوسير، ص 160-161.

[24] مصطفى غلفان، اللغة واللّسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 160.

[25] فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد-العراق، (د ط)، 1985، 37-38.

[26] محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط1، 2003، ص 27.

[27] مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر سلسلة توصيل المعرفة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1987، ص 36.

[28] مصطفى غلفان، اللغة واللسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، ص 168.

[29] مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، ص 302.

رابعا) قائمة المصادر والمراجع:

1) حافظ إسماعيل العلوي، وليد أحمد العناتي، أسئلة نصف قرن من اللسانيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 1430هـ-2009.

2) زواوي مختار، دوسوسير من جديد، مدخل للسانيات، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية-ناشرون، بيروت-لبنان، ط1، 2017.

3) زواوي مختار، من المورفولوجيات إلى السيميائيات، مدخل لفكر فرديناند دوسوسير، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2019.

4) عبد العزيز محمد حسن، سوسير رائد علم اللغة الحديث، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، (د ط)، (د ت).

5) فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر: بوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد-العراق، (د ط)، 1985.

6) كلر جوناثان، فرديناند ديسوسير (أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات)، تر: عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة-مصر، ط1، 2000.

7) مبارك حنون، مدخل إلى لسانيات سوسير، دار توبقال للنشر سلسلة توصيل المعرفة، الدار البيضاء-المغرب، ط1، 1987.

8) محمود فهمي حجازي، أسس علم اللغة العربية، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة-مصر، ط1، 2003.

9) مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، جوان 2013.

10) مصطفى غلفان، اللسانيات العامة، تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، 2010.

11) مصطفى غلفان، اللسانيات العربية، أسئلة المنهج، دار ورد الأردنية، للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 2013.

12) مصطفى غلفان، اللغة واللّسان والعلامة عند سوسير في ضوء المصادر الأصول، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، جانفي 2017.

13) مصطفى غلفان، لسانيات سوسير في سياق التلقي الجديد، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، جانفي 2017.

14) ميشال أرّفيه، البحث عن فرديناند ديسوسير، تر: محمد خير الدين البقاعي، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس-ليبيا، ط1، 2009.